تاريخ بغداد

لابي بكر الخطيب

نخبة منه في وصف بغداد (١)

ذكر الخطيب في آخر الجزء الاول ما ورد من الاحاديث في ذم بغداد ثم طعن في اسانيدها ومتونها وخرّج بعضها على المدح واورد جملة صالحة مما ورد في مدح بغداد وتثبت اهلها في النقل واعتذر عما ورد في بعض المروي عنهم من الشذوذ والضعف الى ان قال : واهل بغداد موصوفون بحسن المعرفة والتثبت في اخذ الحديث وادائه وشدة الورع في روايته اشتهر ذلك عنهم وعرفوا به

ومما ذكره في الجزء الثاني بروايته المتصلة بسليمان بن موسى « اذا كان علم الرجل حجازيا وخلقه عراقيا وطاعته شامية فقد كمل » وقال : « اخبرنا ابو القاسم الازهري

---

(١) راجع في الجزءين الخامس والسادس من هذا المجلد صفحة ١٢٩ و ١٦١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حدثنا احمد بن محمد بن موسى حدثنا الحسن بن علي الجوهري حدثنا محمد بن العباس بن حيّويه قالا : قال ابو الحسن احمد بن جعفر المنادي : ان بغداد سميت حين سكنت مدينة السلام ... وكان بعض اخواننا اذا ذكرها يقرأ قوله تعالى : بلدة طيبة ورب غفور . قال ابو الحسين : هذا الى تركنا ذكر أشياء كثيرة من مناقبها التي افردها الله تعالى بها دون سائر الدنيا شرقا وغربا وبين ذلك من الاخلاق الكريمة والسجايا الرضية والمياه العذبة والفواكه الكثيرة الدمثة والاحوال الجميلة والحذق في كل صنعة والجمع لكل حاجة والامن من ظهور البدع والاغتباط بكثرة العلماء والمتعلمين والفقهاء والمتفقهين ورؤساء المتكلمين وسادة الحسّاب والنحويين ومجيدي الشعراء ورواة الاخبار والانساب وفنون الاداب وحضور كل طرفة واجتماع ثمار الازمنة في زمن واحد لا يوجد ذلك في مدن الدنيا الا بها لا سيما زمن الخريف ثم ان ضاق مسكن بساكن وجد خيراً منه وان لاح له مكان احب اليه من مكانه لم يتعذر عليه النقلة اليه من اي جانب من جانبيه اراده او اي طرف من اطرافه خفّ عليه ومتى هرب احد من خصمه وجد من يستره في قرب او بعد وان آثر ان يستبدل داراً بدار او سكة بسكة او شارعاً بشارع او زقاقاً بزقاق بغير ذلك من التبديل اتسع له الامكان في ذلك حسب الحال والوقت ثم عيون التجار المجهزين والسلاطين المعظمين واهل البيوتات المبجلين في ناحية ناحية تنبعث الخيرات بهم الى الذين هم في الحال دونهم غير منقطع ذلك ولا مفقود فهي من خزائن الله العظام التي لا يقف على حقيقتها الا هو وحده ثم هي بعد ذلك منصورة محبورة كما ظن عدو الاسلام انه فائز باستئصال اهلها كبته الله وكبه بمنخريه واتى جلت قدرته بما ليس في تقدير الخلق اجمعين فضلاً من الله ونعمة والله ذو الفضل العظيم

قال الخطيب : ذكر بعض من تقدم من العلماء باخبار الاوائل ان ملك الازدوان وهم النبط كان في السواد قبل ملك فارس وان النبط هم الذين استنبطوا الارض وعمروا السواد وحفروا الانهار العظام فيه ويقال لهم ملوك الطوائف . وحكى الهيثم بن عدي عن عبدالله بن عياش المنتوف قال : كان حد ملك النبط الانبار الى عانات كسكر الى ما والاها من كور دجلة الى جوخى وما حول ذلك من السواد . قال ابن عياش : وكانت سرّة الدنيا في ايدي النبط واعتبر ذلك ان الفرات ودجلة ينصبان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من الشام والجزيرة ولا ينتفع بهما حتى يأتيا بلادهم فيفجرونهما في كل موضع ثم يسوقون بقيتهما الى البحر . قال وكان ملكهم الف سنة وانما سموا نبطًا لانهم انبطوا الارض وحفروا الانهار العظام . منها الصراة العظمى ونهر ابًا ونهر سورا ونهر الملك . حفر الصراة العظمى فيروز جسنس . وحفر نهر ابًا ابًا بن الصامغان . وحفر نهر الملك انقورشه وكان احد ملوك النبط ملك مائتي سنة . قال . ثم ولت فارس فحفروا الانهار الصغار كوثى والصراة الصغرى التي عليها قصر ابن هبيره وكل سيب بالعراق ثم حفروا النهروان وكان يقال له نهر واي لانه اذا قل ماؤه عطش اهله واذا كثر ماؤه غرقوا

وجعل تعليل اسمها مدينة السلام لمقاربتها دجلة ودجلة تسمى وادي السلام وقصر السلام . وفي بغداد ذكر اقوالاً ذكرها غيره وذكر في لغات الكلة انها بغداد وبغدان وهما اشهر اللغات فيها ومغدان وبغداذ بالذال وجعل هذه اشذ اللغات

وروى عن رجل من ولد الربيع لما اراد ابو جعفر ان يبني لنفسه كان يؤتى من كل مدينة بتراب فيعفنه فيصير عقارب وهوام حتى أتى بتربة بغداد فخرج حرارات فاتى الخلد فنظر الى دجلة والفرات فاعجبته فرآه راهب كان هناك وهو يقدر بناءها فقال : لا يتم فبلغه فاتاه فقال : نعم نجد في كتبنا ان الذي يبنيها ملك يقال له مقلاص قال ابوجعفر : كانت والله امي تلقبني في صغري مقلاصا

ثم ذكر في خبر بناء مدينة السلام :

ان ابا جعفر ابتدأ اساس المدينة سنة خمس واربعين ومائة واستتم البناء سنة ست واربعين ومائة وسماها مدينة السلام

وان المنصور لما عزم على بنائها احضر المهندسين واهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الارضين فمثل له صفتها التي في نفسه ثم احضر الفعلة والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم واجرى عليهم الارزاق وكتب الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئًا من امر البناء ولم يبتدئ حتى تكامل بحضرته من اهل المهن والصناعات الوف كثيرة ثم اختطها وجعلها مدورة

وروى عن محمد بن خلف قال الخوارزمي : واستتم حائط بغداد وجميع اعمالها بعد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مائة سنة وثمان واربعين سنة وستة اشهر واربعة ايام من الهجرة . ونقل عن يعقوب ابن سفيان ان المنصور فرغ من بناء مدينة السلام ونزلها ونقل الخزائن وبيوت الاموال والدواوين اليها سنة ١٤٩ . وروى عن احمد البربري ان مدينة ابي جعفر مائة وثلاثون جريبا خنادقها وسورها ثلاثون جريبا وانفق عليها ثمانية عشر الف الف وبنيت في سنة ١٤٥ ونقل عن بدر غلام المعتضد قال امير المؤمنين : انظروا كم مدينة ابي جعفر . فنظرنا وحسبنا فاذا هي ميلين في ميلين

ثم قال : ورأيت في بعض الكتب ان ابا جعفر انفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والابواب والاسواق الى ان فرغ من بنائها اربعة الاف (١) وثمان مائة وثلاثة وثمانين درهماً وذلك ان الاستاذ من الصناع كان يعمل يومه بقيراط الى خمس حبات والروزجاري يعمل بحبتين الى ثلاث حبات قال الخطيب : وهذا خلاف ما تقدم ذكره من مبلغ النفقة على المدينة وارى بين القولين تفاوتاً كثيراً ثم ذكر خبراً مسنداً الى داود بن صفير البخاري يقول فيه : رأيت في زمن ابي جعفر كبشاً بدرهم وحملاً باربعة دوانيق والتمر ستين رطلاً بدرهم والزيت ستة عشر رطلا بدرهم والسمن ثمانية ارطال بدرهم والرجل يعمل بالروزجار بالسور كل يوم بخمس حبات ونقل الفضل ابن دُكين انه كان ينادى على لحم البقر في جبانة كندة تسعين رطلاً بدرهم ولحم الغنم ستين رطلا بدرهم ثم ذكر العسل فقال عشرة ارطال والسمن اثناعشر رطلاً قال الحسن بن سلام : فقدمت بغداد فحدثت به عفان : فقال كانت في تكتي قطمة فسقطت على ظهر قدمي فاحسست بها فاشتريت بها ستة مكاكيك دقيق

وحدّد الخطيب بغداد فقال :

اعلاها قطيعة ام جعفر دونها الخندق يقطع بينها وبين البناء المتصل بالمدينة وكذلك اسفل البلد من محال الكرخ وما يتصل به يقطع بينه وبين المدينة الصراة وهذا حد المدينة وما اتصل بها طولا فاما حد ذلك عرضاً فمن شاطىء دجلة الى الموضع المعروف بالكبش والاسد . وكل ذلك كان متصل الابنية متلاصق الدور والمساكن

(١) كذا في تاريخ بغداد والظاهر سقوط كلمة الف بعد اربعة الاف كما في الطبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والكبش والاسد الآن صحراء مزروعة وهي على مسافة من البلد وقال لي ابوالحسين هذال بن المحسن الكاتب حدثني ابو الحسن بشر بن علي بن عبيد الكاتب النصراني قال كنت اجتاز بالكبش والاسد مع والدي فلا اتخلص في اسواقها من كثرة الزحمة ثم اخذ في وصف المدينة وهندستها وابوابها وقصر المنصور في وسطها واسوارها واقسامها كل ذلك مفصلا مسهبا (وسترى قريباً بعضه) ثم نقل عن الجاحظ انه قال قد رأيت المدن العظام المذكورة بالاتقان والاحكام · بالشامات وبلاد الروم وفي غيرها من البلدان لم ارَ مدينة قط ارفع سمكاً ولا اجود استدارة ولا انبل نبلاً ولا اوسع ابواباً ولا اجود فصيلاً من الزوراء وهي مدينة ابي جعفر المنصور كأنها صبّت في قالب وكأنما افرغت افراغاً

وكانت تكنس الرحاب كل يوم يكنسها الفراشون ويحمل التراب الى خارج المدينة ولما علم ان بغال الروايا تصل الى الرحاب امر فاتخذت قني بالساج من باب خراسان الى القصر واوسع الطرق بمدينة السلام فجعلها اربعين ذراعاً وبنى الكرخ بعد مضي مائة وست وخمسين سنة وخمسة اشهر وعشرين يوماً من الهجرة وبدأ بعد ذلك ببناء قصر الخلد بعد شهر واحد عشر يوماً ثم نقل الاسواق من المدينة الى الكرخ ورتبها كل صنف منها في موضعه وقال: اجعلوا سوق القصابين في آخر الاسواق فانهم سفهاء وفي ايديهم الحديد القاطع وامر ان يبنى لأهل الاسواق مسجد يجتمعون فيه يوم الجمعة لا يدخلون المدينة ويفرد لهم ذلك ولم يضع المنصور على الاسواق غلة حتى مات فوضعها المهدي

وصف مدينة المنصور :

قال الخطيب : وذكر وكيع فيما بلغني عنه ان ابا جعفر بنى المدينة مدوّرة لان المدوّرة لها معانٍ سوى المربّعة وذلك ان المربّعة اذا كان الملك في وسطها كان بعضها اقرب اليه من بعض والمدوّر من حيث قسم كان مستوياً لا يزيد هذا على هذا ولا هذا على هذا · وبنى لها اربعة ابواب وعمل عليها الخنادق وعمل لها سورين وفصيلين بين كل بابين فصيلان والسور الداخل اطول من الخارج وامر ان لا يسكن تحت السور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الطويل الداخل احد ولا يبني منزلا وامر ان تبنى في الفصيل الثاني مع السور المنازل لانه احصن للسور ثم بنى القصر والمسجد الجامع وكان في صدر قصر المنصور ايوان طوله ثلاثون ذراعًا وعرضه عشرون ذراعًا وفي صدر الايوان مجلس عشرون ذراعًا في عشرين ذراعًا وسمكه عشرون ذراعًا وسقفه قبة وعليه مجلس مثله فوقه القبة الخضراء سمكه الى اول حد عقد القبة عشرون ذراعًا فصار من الارض الى رأس القبة الخضراء ثمانين ذراعًا وعلى رأس القبة تمثال فرس عليه فارس وكانت القبة الخضراء ترى من اطراف بغداد . حدثني القاضي ابو القاسم التنوخي قال : سمعت جماعة من شيوخنا يذكرون ان القبة الخضراء كان على رأسها صنم على صورة فارس وفي يده رمح فكان السلطان اذا رأى ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ومد الرمح نحوها على ان بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة فلا يطول الوقت حتى ترد عليه الاخبار بان خارجيًا قد نجم من تلك الجهة

انبأنا ابراهيم بن مخلد القاضي حدثنا اسماعيل بن علي قال : سقط رأس القبة الخضراء خضراء ابي جعفر المنصور التي في قصره بمدينة السلام يوم الثلاثا لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وكان ليله ذا مطر عظيم ورعد هائل وبرق شديد وكانت هذه القبة تاج بغداد وعلم البلد ومأثرة من مآثر بني العباس عظيمة بنيت اول ملكهم وكان بين بنائها وسقوطها مائة ونيف وثمانون سنة . قال وكيع فيما بلغني عنه ان المدينة مدوّره عليها سور مدوّر قطرها من باب خراسان الى باب الكوفة الفا ذراع ومائتا ذراع ومن باب البصرة الى باب الشام الفا ذراع ومائتا ذراع وسمك ارتفاع هذا السور الداخل وهو سور المدينة في السماء خمس وثلاثون ذراعًا وعليه ابرجة سمك كل برج منها فوق السور خمس اذرع وعلى السور شرف وعرض السور من اسفله نحو عشرين ذراعًا ثم الفصيل بين السورين وعرضه ستون ذراعًا ثم السور الاول وهو سور الفصيل ودونه خندق وللمدينة اربعة ابواب شرقي وغربي وقبلي وشمالي كل باب منها بابان باب دون باب بينهما دهليز ورحبة يدخل الى الفصيل الدائر بين السورين فالاول باب الفصيل والثاني باب المدينة فاذا دخل الداخل من باب خراسان الاول عطف على يساره في دهليز ازج معقود بالآجرّ والجص

*

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عرضه عشرون ذراعاً وطوله ثلاثون ذراعاً المدخل اليه في عرضه والمخرج منه من طوله يخرج الى رحبة مادّة الى الباب الثاني طولها ستون ذراعاً وعرضها اربعون ذراعاً ولها في جنبتيها حائطان من الباب الاول الى الباب الثاني في صدر هذه الرحبة في طولها الباب الثاني وهو باب المدينة وعن يمينه وشماله في جنبتي هذه الرحبه بابان الى الفصيلين فالأيمن يؤدي الى فصيل باب الشام والأيسر يؤدي الى فصيل باب البصرة ثم يدور من باب البصرة الى باب الكوفة ويدور الذي انتهى الى باب الشام الى باب الكوفة على نعت واحد وحكاية واحدة والابواب الاربعة على صورة واحدة في الابواب والفصلان والرحاب والطاقات. ثم الباب الثاني وهو باب المدينة وعليه السور الكبير الذي وصفنا فيدخل من الباب الكبير الى دهليز ازج معقود بالآجر والجص طوله عشرون ذراعاً وعرضه اثنا عشر ذراعاً وكذلك سائر الابواب الاربعة وعلى كل ازج من آزاج هذه الابواب مجلس له درجة على السور يرتقى اليه منها. على هذا المجلس قبة عظيمة ذاهبة في السماء سمكها خمسون ذراعاً مزخرفة وعلى رأس كل قبة منها تمثال تديره الريح لا يشبه نظائره وكانت هذه القبة مجلس المنصور اذا احبّ النظر الى السماء والى من يقبل من ناحية خراسان وقبة على باب الشام كانت مجلس المنصور اذا احب النظر الى الارباض وما والاها وقبة على باب البصرة كانت مجلسه اذا احب النظر الى الكرخ ومن اقبل من تلك الناحية وقبة على باب الكوفة كانت مجلسه اذا احب النظر الى البساتين والضياع وعلى كل باب من ابواب المدينة الاوائل والثواني باب حديد عظيم المقدار كل باب منها فردان

وبعد كلام ذكر اكثره الطبري في تاريخه قال :

عدنا الى كلام وكيع المتقدم قال ثم تدخل في الدهليز الثاني الى رحبة مربّعة عشرون ذراعاً في مثلها فعلى يمين الداخل اليها طريق وعلى يساره طريق يؤدي الأيمن الى باب الشام والأيسر الى باب البصرة والرحبة كالرحبة التي وصفنا ثم يدور هذا الفصيل على سائر الابواب بهذه الصورة وتشرع في هذا الفصيل ابواب السكك وهو فصيل مادّ مع السور وعرض كل فصيل من هذه الفصلان من السور الى افواه السكك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خمس وعشرون ذراعاً ثم تدخل من الرحبة التي وصفنا الى الطاقات وهي ثلاثة وخمسون طاقاً سوى طاق المدخل اليها من هذه الرحبة وعليه باب ساج كبير فردين وعرض الطاقات خمس عشرة ذراعاً وطولها من اولها الى الرحبة التي بين هذه الطاقات والطاقات الصغرى مائتا ذراع وفي جنبتي الطاقات بين كل طاقين منها غرف كانت للمرابطة وكذلك لسائر الابواب البافية فعلى هذه الصفة سواء ثم تخرج من الطاقات الى رحبة مربعة عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً فعن يمينك طريق يؤدي الى نظيرتها من باب الشام ثم تدور الى نظيرتها من باب الكوفة ثم الى نظيرتها من باب البصرة ثم الى وصفنا لباب خراسان كل واحدة منهن نظيرة لصواحباتها وفي هذا الفصيل يشرع أبواب لبعض السكك وتجاهك الطاقات الصغرى التي تلي دهليز المدينة الذي يخرج منه الى الرحبة الدائرة حول القصر من المسجد

ثم قال — بعد كلام طويل :

مدّ المنصور قناة من نهر دجيل الآخذ من دجلة وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات وجرهما الى مدينته في عقود وثيقة من اسفلها : محكمة بالصاروج والآجر من اعلاها فكانت كل قناة منهما تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب والارباض وتجري صيفا وشتاء لا ينقطع ماؤها في وقت . وجرّ لاهل الكرخ وما اتصل به انهارا نذكرها بعد ان شاء الله

ثم ذكر بناء الكرخ ثم بناء الرصافة والظاهر ان هذا الوصف لمدينة المنصور وهي غير شاملة للكرخ والرصافة وان كان اسم بغداد يشملهما

النبطية احمد رضا

الاعجمي في العربية

الصير بالكسر الصحناء او شبهها والسُّمَيْكات المملوحة يعمل منها الصحناء — قال الجواليقي : أحسبه سريانياً معرّباً لأن اهل الشام يتكلمون به — ودخل في عربية اهل الشام كثير من السريانية كما استعمل عرب العراق اشياء من الفارسية

(التقريب لاصول التعريب للجزائري)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net